

أضواء البيان

@ 312 المذكورين في قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَ لَذَائِقُونَ } ، أي : العذاب الأليم . وقوله تعالى : { فَإِنْ زُلْزِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ مَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } ، أنه يفعل مثله من التعذيب والتنكيل بالمجرمين ، والمجرمون جمع مجرم ، وهو مرتكب الجريمة وهي الذنب الذي يستحق صاحبه عليه التنكيل الشديد ، ثم بيّن العلاقة لذلك التعذيب ؛ لأنها هي امتناعهم من كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله ، إذا طلب منهم الأنبياء وأتباعهم أن يقولوا ذلك في دار الدنيا . فلفظة إن في قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَ مِنْهُمْ } كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } ، من حروف التعليل ؛ كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه . .

وعليه فالمعنى : { كَذَلِكَ نَفْعُ الْعُلَى بِالْمُجْرِمِينَ } لأجل أنهم كانوا في دار الدنيا ، إذا قيل لهم : { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } ، أي : يتكبرون عن قبولها ولا يرضون أن يكونوا أتباعاً للرسل . .

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، من كون ذلك هو سبب تعذيبهم بالنار ، دلّت عليه آيات ؛ كقوله تعالى مبيناً دخولهم النار : { ذَلِكَ كُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ثُمَّ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } ، وقوله تعالى في ذكر صفات الكفار وهم أهل النار : { وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شُكِرْتُمْ ثُمَّ أَلْهَى الْكَاذِبِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الْكَاذِبِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ } . .

7 ! { وَيَقُولُونَ أَءَنْزَلْنَا لَكَ آيَاتٍ كُتُوبًا لِيَشَاعَرَ مَنْ جُنُونٍ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة (الشعراء) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } . { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ } . قد قدّمنا تفسيره مع ذكر الآيات الدالّة على معناه في سورة (المائدة) ، في الكلام على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا * الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلٍ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ، وبيّنا هنا كلام أهل العلم في نجاسة عين خمر الدنيا دون خمر الآخرة ، وأن ذلك يشير إلى قوله تعالى : { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } .